المحاضرة الخامسة

التاريخ والديانات السماوية الثلاثة (اليهودية، المسيحية، الاسلام)

إن النظرة الدينية للتاريخ هي في جوهرها نظرة لاهوتية تربط أحداث التاريخ ومساره بأسباب وعلل تقع خارج التاريخ، وقد اختلفت الديانات السماوية الثلاث في تفسير وتحديد مسار التاريخ، باعتمادهم على النص الديني وسير الأنبياء. إن تاريخ الديانات وتاريخ الأنبياء هو تاريخ الأمة، جملة من القصص والوعي التاريخي، من الماضي إلى الحاضر، من التاريخ كميدان تحقق إلى المجتمع كميدان صراع. ثبتت الاديان انتصار الحق على الباطل، والعدل على الظلم، والثورة على التسلط، وكان هدفها الاوحد توحيد الله، وفلسفتها خلق مدينة عادلة بدلًا من المدينة الأرضية الظالمة. ومن اجل معرفة اهمية الكتب الدينية الثلاث في حفظ قصص الانبياء وروايات الاحداث، نتسعرض المادة التاريخية في كل من؛ التوراة، الانجيل والقرآن بشيء من الايجاز، لنثبت ان هذه الكتب كانت وما تزال مادة تأريخية أولى لاحداث الرض منذ خليقة سيدنا آدم وحتى نبوة محمد (ص).

أولا: التاريخ في الديانة اليهودية:

لم تتخذ الديانة اليهودية التي أقترن ظهورها بالنبي موسى (عليه السلام) وكتابها المقدس (التوراة) شكلاً ثابتاً ومحدداً من غاية التاريخ وهدفه منذ بداية ظهورها . بل أن تاريخ هذه الديانة يبين أن موقفها من التاريخ قد طرأ عليه تطور متعاقب، فقد اختلف اليهود من ناحية والمسيحيون من ناحية أخرى حول قائمة (الأسفار) التي تضمنتها التوراة. كما أتخذ الإسلام موقفاً خاصاً من التوراة المتداولة بين اليهود. فضلاً عن اختلاف اليهود والباحثين حول نسبة هذه الأسفار وجمعها.. مع الأخذ بنظر الاعتبار اختلاف الفرق اليهودية ذاتها حول ذلك ومنهم الفريسيون والصدوقيون والسامريون والحسديون والقرآون والأكبرية. كما أن الجهود التي قام بها كثير من الباحثين وعلماء التاريخ في التوراة ، والمتعلقة بالتاريخ خاصة أجمعوا على أن هذه التوراة المتداولة ليست وحدة تأليفية، بل هي تجميع قام به افراد متعددون في أوقات مختلفة . ومن هنا يتبين تطور وغموض هذه الديانة في موقفها من التاريخ على خلاف ما هو مبين في المسيحية والإسلام .

تحرص الكتابات اليهودية على الربط بين اليهود وابراهيم الخليل والذي وصف بـ (العبراني) لانه عبر نهر الفرات او الاردن في اثناء هجرته من العراق إلى فلسطين. أو انه اكتسب هذا الوصف الذي كان يطلق على البدو المتجولين في البوادي (عبيرو) او (عبرانيين)، لانه بهجرته فعل مثل فعلهم وبذلك تكون تسمية عبري او عبراني تسمية قديمة سابقة ابراهيم العلا، وهي تطلق على بدو شبه الجزيرة العربية القدماء، وهي قريبة الصلة بمصطلحي في اعراب وعرب.

أن ديانة ابراهيم كانت تدعو إلى وحدانية الله الخالصة كما أن اللغة التي كان يتكلمها هو وابناؤه كانت لغة قومه من (الكلدانيين) وليست اللغة العبرية التي ظهرت إلى الوجود بعد وفاته بنحو الف عام . اما مصطلح (بنو اسرائيل) فهو يعني ابناء يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم وكل من انتسب اليهم بحق . وقد أشير إلى أن سبب تسمية يعقوب بهذا الاسم هو سبب ديني غرضه الدعاء له بان يحفظه الله ويحميه، وهو يعني حرفيا **ليحم الاله ايل يعقوب**، وكان (ايل) هو اسم الاله العلي العظيم عند الكنعانيين من سكان فلسطين.

تألف ابناء يعقوب (اسرائيل) من اثني عشر سبطا، وكلهم ولدوا فى منطقة حران خارج فلسطين وهم ينتسبون إلى اربع امهات وعلى النحو في الاتي : بنو ليئة : راوبين وشمعون ولاوي ويهوذا وبساكر وزبولون، وابنا راحيل : يوسف وبنيامين، وابنا بلها جارية راحيل: دان ونفتالي ، وابنا زلفة

جارية لئية : جاد واشير . وقد عرضت التوراة قصة يوسف مع اخوته وما حدث له في مصر بعد أن بيع فيها وكيف دخل في خدمة فرعون وتولى ادارة شؤون الدولة ، ثم نزوح اخوته إلى مصر مع ابيهم يعقوب (اسرائيل). وتقول التوراة أن النبي موسى ظهر بعد ذلك في مصر، ربما في عهد الفرعون رعمسيس الثاني (١٣٠ - ١٢٣٧ ق.م) فخرج موسى بهم إلى ارض كنعان (فلسطين).

أوجز احمد سوسة عندما شرح ان من بين سطور التوراة نخلص إلى أن هناك ثلاثة أقوام او ثلاث جماعات لكل منها ثقافتها الخاصة بها ظهرت في ازمنة متباعدة منفصلة الواحدة عن الاخرى حاول كتبة التوراة الجمع بينها واعتبارها جماعة واحدة، وهذه الأقوام والجماعات هي:

1-الجماعة الابراهيمية (الايلوهيمية) وهي جماعة نبي الله ابراهيم وابنائه اسحاق ويعقوب والاسباط المرتبطة بالعصر الكنعاني وبعقيدة توحيد الله تعالى . ويشار إلى أن الله كان يدعى باللغة الكنعانية (ايل) لذا اطلق بعض الباحثين على عقيدة التوحيد في هذا العصر (الايلوهيمية)

2-قوم النبي موسى (الاله اتون) وقد تألفوا من مزيج من الاسرائيلين والمصريين وبقايا الهكسوس وبعض العبيد الذين امنوا بدعوة موسى للتوحيد، وكان يدعى بلغة المصريين (الاله ادوناي او الاله اتون).

3-اليهود العنصريون المرتبطون بدين الاله (يهوه) وكتاب التوراة الذي كتبه الاحبار، وقد ادعوا صلتهم عرقيا وتاريخيا بابراهيم وبفلسطين التي زعموا أن ألههم (يهوه) وعدهم بها . لقد نسب كتبة التوراة عددا من الصفات إلى (يهوه) تتناقض مع ما يجب أن يتصف به الله من كمال وقدرة وسمو ، وعالمية ، مما يدل على أن اليهود كانوا يعيشون في هذه الحقبة تحت تأثير افكار قومية ووثنية وعنصرية. ويلحظ الانحياز المطلق لشعبه المختار مقابل أن يقوم هذا الشعب بالاخلاص له وعبادته وحده.

لقد حاول كتبة التوراة كما قدمنا أن يدمجوا هذه الجماعات الثلاث في جماعة واحدة اطلقوا عليها وصف العبريين وبني اسرائيل واليهود مما خلق كثيرا من التشوش والارتباك في فهم تاريخ اليهود وتطورهم العقيدي، الا أن الدراسة النقدية للنصوص كشفت زيف هذه المحاولة. ويلاحظ أن القران الكريم قد كشف حقيقة هذا التزوير للتاريخ اذ فرق بين بني اسرائيل الأنبياء الصالحين وهم ابراهيم واسحاق ويعقوب وموسى والانبياء الذين ظهروا بعده وبين اليهود المتأخرين فجاء ذكر الأولين مقرونا بالتجلة والتقديس، بينما اقترن الفريق الثاني باللعن والانحراف.

أن عقيدة الالوهية فى الديانة اليهودية تقيم رباطا متينا بين الله والتاريخ، وتجعل الله حضورا دائما في حركة التاريخ وتوجيهه نحو نهايته، وذلك لان هذه العقيدة تنطلق من الايمان بان الله تعالى قد خلق الانسان والمكان والزمان ، وهو لم يفعل ذلك ويترك الانسان يكافح لوحده في تدبير معاشه وتوجيه شؤونه، وقد حفلت التوراة بقصص الانبياء الذين ارسلهم الله إلى بني اسرائيل والوصايا والشرائع التي حملوها عن الله الى قومهم من اجل تنظيم حياتهم على وفق مبادئها في كل صغيرة وكبيرة. وصارت الحقائق التاريخية مواقف بين الله والبشر تتجلى فيها ارادة الله فاعلة وحاكمة على الفعل الانساني.

أن دراسة الكتابات الدينية اليهودية قبل الاسر البابلي تشير إلى أن هذه الديانة كانت تركز على الاعمال الدنيوية ولا تعير اهتماما للاعتقادات الاخروية، واذا تحدثت هذه الديانة عن الثواب والعقاب الذي ينتظر الانسان عن اعماله فانها تعني به الجزاء الدنيوي الذي ينتظره في هذه الدنيا، وهكذا كان جزاء بني اسرائيل حينما عصوا اوامر الرب هو النكبات والكوارث التي حلت بهم في هذه الدنيا عقابا لهم على هذه المعصية . كما أن جزاء اليهودي الذي لا يراعي أوامر الرب في حياته هو الفقر والمرض وغير ذلك من العقوبات الدنيوية. ومن الواضح أن هذه العقيدة كانت عاجزة عن منح الأمل والشعور بالتفاؤل لليهود وبخاصة حينما اخذت تجلب بهم المحن والنكبات، وأسر اعداد كبيرة منهم

ونقلهم من فلسطين إلى العراق حيث تعرفوا فيه على بعض المعتقدات ذات الاصول الزرادشتية[1] كعقيدة الايمان بانتصار الخير على الشر في اخر الزمان، وظهور ملك مثالي يحكم العالم ، وعقيدة البعث بعد الموت، حيث يجري حساب الناس على اعمالهم في الدنيا ، ومكافأة الصالحين بدخول الجنة ، ومعاقبة الطالحين بدخول الجحيم. لقد كان من نتائج تعرف اليهود على هذه المعتقدات أن ظهرت لدى اليهود عقيدة المسيح المنتظر.

كلمة المسيح عند اليهود معناها الممسوح بزيت البركة لانهم كانوا يمسحون به الملوك والانبياء والكهنة، وكانوا في مبدأ الامر يرون المسيح ملكا فاتحا مظفرا من نسل داؤد، يسمونه ابن الله ، ويعتقدون انه يعيد مجد اسرائيل ويجمع اشتات اليهود بفلسطين سيجيء ويجعل احكام التوراة نافذة المفعول. لقد عد اليهود عقيدة المسيح المخلص بمثابة تجديد العهد مع الرب الذي قطعه لابراهيم ويعقوب وموسى بان يجعل من بني اسرائيل شعبه المختار ويمنحهم السيطرة على شعوب الارض، واذا كان هذا العهد لم يتحقق في سالف الايام بسبب معاصي اليهود وذنوبهم فانه لابد أن يتحقق في آخر الزمان حينما يجيء المسيح المخلص وعندئذ تصير اورشليم مدينة لا مثيل لها بين المدائن، يقيم فيها الرب على جبل صهيون، كما جاء في سفر اشعيا **"سيبيد الموت المشردون من بني اسرائيل إلى الأبد، ويمسح السيد الرب الدموع عن جميع الوجوه ، ويزيل عار شعبه"**.

ويلاحظ أن عقيدة المسيح المخلص قد منحت اليهود المؤمنين بها املا قويا في المستقبل واوجدت لديهم استعدادا لاتباع كل مغامر طموح يدعي انه هو المسيح المخلص الذي سينقذهم من حياة الشتات ويعيدهم إلى فلسطين حيث سيشهدون تحقيق حلمهم باقامة مملكة الله على تلك الارض المقدسة لذا فقد عرف التاريخ ظهور العشرات من هؤلاء الأدعياء في حقب تاريخية مختلفة .

ثانيا: التاريخ في الديانة المسيحية:

يتألف التفسير الديني للتاريخ لدى المسيحيين او النصارى من مجموع الآراء التي عرضها رجال الفكر والدين المسيحي للتاريخ استنادا إلى فهمهم لبعض نصوص التوراة والانجيل. ويلاحظ أن كلتا التسميتين : (النصرانية) و (المسيحية) قد اشتقت من الصفات التي عرف بها نبي الله عيسى بن مريم ال فهو من ابناء مدينة الناصرة في فلسطين، لذا فقد اطلق على طائفة من اتباعه اسم (النصارى).

كما كان قد عرف بعد ظهور نبوته بالمسيح أي المخلص ، فاشتهر اتباعه بعد ذلك باسم (المسيحيين). وقد اشارت بعض المصادر إلى أن هذه التسمية لم تستقر كاسم علم على الدين الجديد واتباعه الا في القرن الثالث الميلادي حينما اجتمع المجمع المقدس في نيقية الذي انعقد عام ٣٢٥م[2]، واتخذ قراراته في العقيدة، ومنها وصف معتنق المسيحية بانه مسيحي، كما ذكرت بعض المصادر أن تسمية النصارى والنصرانية كانت اسما لطائفة مسيحية ظهرت فى القرن الأول الميلادي وكانت تسعى الى المحافظة على الموسوية مع المسيحية باقامة التوراة والانجيل معا.

تشير المصادر المسيحية إلى أن عيسى بن مريم ولد في مطلع السنة الأولى من التقويم الميلادي، وذكر الانجيل أن يسوع (عيسى) ولد بطريقة عجائبية خارقة من فتاة تدعى (مريم)، وقد اكد القرآن الكريم حصول تلك الولادة وعدها من دلائل نبوة عيسى بن مريم، ووصف ذلك في كثير من الآيات

([1])**الزرادشتية** ديانة فارسية قديمة ظهرت عند الاقوام الهندوفارسية، يقال أن زرادشت حاول إنهاء تعدُّد الآلهة الموجود آنذاك في الديانة القديمة، واستبداله بنظام عقائدي توحيدي، وتركت جهوده الإصلاحيَّة تأثيراً عظيماً، وهو ما أدَّى بعد قرون عدَّة إلى انبثاق ديانة فارسية جديدة نُسِبت إليه. تذكر المصادر ان الديانة تربط بين نور النار والشمس في اشارة منها ان النور مقابل الظلمة أو الخير مقابل الشر.

([2]) وهو احد المجامع السبعة التي عقدت وفقا للكنيسة الرومانية، سمي بذلك نسبة الى المدينة التي عقد فيها المجمع (اجتماع اساقفة الديانة المسيحية)، وكان ذلك في عهد الامبراطور الروماني قسطنطين الاول، وأهم ما نوقش خلال المجمع: ولادة السيد المسيح، كتب المسيحية (الاناجيل الاربعة)، تسمية ابناء الديانة، صحة التعميد، تحديد عيد الفصح، طرق الاحتفال بالاعياد، وغيرها.

البليغة المؤثرة منها: **"إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين * ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين"** (آل عمران:45-46)

وترجع بعض الاناجيل نسب عيسى بن مريم ناحية امه إلى هارون الاخ النبي موسى، واخرى إلى سليمان او داؤد (عليهما السلام) . اما نسبه الروحي فترفعه الى الله تعالى، ولا تقدم لنا المصادر التاريخية المعاصرة لولادة عيسى الكلية شيئا عن ولادته وحياته، لذا فان اقدم المصادر التي قدمت شذرات عنها، الاناجيل الاربعة المعتمدة ككتب مقدسة عند المسيحيين. ومن المعروف أن هذه الكتب لم تكتب الا بعد وفاة المسيح بعشرات السنين، وهي لم تأخذ صيغتها الرسمية النهائية الا في مؤتمر نيقية. وهكذا فقد افسح هذا الواقع المجال لكثير من الاختلافات والتناقضات حول دقة ما ورد في الاناجيل من اخبار وروايات عن حياة وتعاليم المسيح.

وعلى الرغم من هذا الواقع التاريخي المحير فانه ليس امام الباحث في حياة عيسى سوى القبول بهذا الواقع، والاعتماد في دراسته على ما ورد في الاناجيل من اخبار امتدت من ولادة عيسى بن مريم في مدينة بيت لحم في فلسطين، ثم انتقاله إلى مصر مع زوج امه يوسف النجار وامه خوفا عليه أن يقتله حاكم فلسطين الروماني هيرودس، الذي امر بقتل اطفال اليهود دون سن السنتين وذلك لانه كانت قد بلغته نبوءة بظهور المسيح الذي سيغدو ملكا على اليهود ويهدد ملكه، الا أن هذا الملك لم يلبث أن توفي، فعاد عيسى من مصر بصحبة اسرته وسكن في مدينة الناصرة في منطقة الجليل وقد امضى عيسى ال طفولته في كنف يوسف النجار الذي كان مع فقره وعمله في النجارة شديد الاهتمام بتعاليم الدين (اليهودي)، مما اتاح الفرصة لعيسى العلي أن يأخذ عنه وعن امه مريم تعاليم الدين وشعائره .

اشارت الاناجيل ان عيسى كثيرا ما كان يتردد على دور العبادة اليهودية (الكنيس)، كما صحب امه وابيه حينما بلغ عمره الثانية عشرة إلى بيت المقدس (اورشليم) لاداء فريضة الحج واداء فريضة الصوم وقد تعرض عيسى الى تجربة قاسية حينما شاهد هيكل سليمان . الذي كان يحمل عنه صورة سامية وقد تحول إلى ساحة لبيع الخراف والاضاحي، وميدانا للمساومات التجارية التي لا علاقة لها بالحياة الروحية وبعد عودتهم من بيت المقدس توفي يوسف النجار فاضطرت مريم إلى الانتقال من الناصرة إلى كانا موطنها الاصلي. وهناك اشتغل عيسى بالنجارة التي كان تعلمها من زوج امه، الا أن هذه الحرفة لم تصرفه عن الاهتمام بامور الدين والعقيدة. وكان في ايام السبت يذهب إلى الكنيس للصلاة ودراسة الشريعة، كما كان يساهم في القاء بعض المواعظ الدينية على الناس.

وقد استمر على هذه الحال - التي لا نعرف شيئا عن تفاصيلها - حتى بلغ الثلاثين من العمر، زفي هذا السن سمع عيسى بن مريم اخبارا عن شاب بعمره (وهو ابن خالة امه) ، وكان اسم هذا الشاب يوحنا بن زكريا (وهو النبي يحيى) الملقب بالمعمدان، والذي لقب بهذا اللقب لانه كان يعتقد بان الماء يغسل اثام الناس لذا كان يعمد الناس فى ماء نهر الاردن قبل أن يعظهم ويبشرهم بقدوم المسيح. سافر عيسى بن مريم اليوحنا المعمدان ، طلب منه أن يعمده ، ولكنه تردد حينما وجد من خلال نظراته الثاقبة أن عيسى ليس بالانسان العادي وقال له : انا الذي في حاجة الى أن تعمدني ثم تاتي الي ولكن بعد اصرار عيسى على التعميد فامتثل يوحنا لطلبه، واذا السماوات قد انفتحت له، فرأى روح الله نازلا مثل حمامة عليه، وصوت من السماوات قائلا هذا هو ابني الحبيب الذي سررت به وهكذا بدأ عيسى بن مريم مرحلة النبوة ، وقر في وجدانه انه المسيح المخلص الذي يتطلع قومه من اليهود إلى ظهوره ليقودهم، ويحررهم ويكون ملكا عليهم.

كان من جملة ما عزز هذا الاعتقاد ظهور عدد من المعجزات على يدي يسوع، فكان كما يقول متى في انجيله : **"يطوف كل الجليل يعلم في مجامعهم ويكرر بشارة الملكوت، ويشفي كل مرض وكل ضعف في الشعب فذاع خبره في جميع سورية ، فاحضروا اليه جميع السقماء المصابين بامراض واوجاع مختلفة ، والمجانين والمصروعين والمفلوجين فشفاهم فتبعته جموع كثيرة من الجليل وغيرها من المدن الفلسطينية"**، ويبدو أن المسيح ال كان يخشى عواقب انتشار هذا الخبر

ووصوله إلى اسماع الحاكم الروماني في المدينة لانه يعنى انه قد اخذ يشكل خطرا سياسيا على الأوضاع في البلاد بالنظر لما تحمله كلمة (المسيح) مـن دعوة للخروج على السلطة وقيادة اليهود نحو التحرير واقامة مملكة تخلص الناس من صرامة الطقوس والمظاهر والالتزام بروح الديانة التي تقوم على المحبة والصدق والزهد واخلاص التوجه إلى الله .

لقد اثارت هذه التعاليم زعماء المجتمع اليهودي في فلسطين على المسيح ال ومن ورائهم السلطة الحاكمة في البلاد، كون يسوع يدعي الناس كافة الى الله ولم يخص اليهود بدعوته، ولم يستثن الغني دون الفقير او شعب دون آخر، وبذلك انتقلت المسيحية من التوجه القومي إلى التوجه الانساني. فما كان من احبار اليهود ورهبانهم الا ان اتفقوا مع حاكم البلاد وعمدوا الى قتل المسيح بعد صلبه وهنا رفع الله نبيه الى السماء وابدله بشخص آخر.

ترى المسيحية أن الله قد دخل في التاريخ متجسدا في صورة المسيح عيسى بن مريم ليقيم ملكوته في الارض ، ثم ليقدم نفسه فداءا لخطيئة ادم، ثم يعود مرة ثانية إلى السماء من خلال البعث والصعود، وبذلك يمنح البشر الامل في الخلود. ويرى المسيحيون أن الكنيسة قد اخذت على عاتقها مسؤولية التبشير بتعاليم المسيح واقامة ملكوت الله في الارض طوال مدة (غيبة) المسيح عن الارض في السماء. وتتمتع الكنيسة بكامل سلطات المسيح التشريعية على التخويل الذي منحه لحواريه واساقفته في الحل والربط، كما تتمتع بالعصمة من الخطأ وذلك لان سلطاتها مستمدة من المسيح المباشرة. ويعتقد المسيحيون أن الروح القدس بصفته الاقنوم الالهي الثالث هو الذي يعين الاشخاص الذين يقودون الكنيسة ، ويعين لهم مكان العمل ، ونوعه ومجاله وزمنه واسلوبه ، ولا يترك شيئا مهما صغر او كبر دون اعداد وترتيب وتنسيق وتنظيم وهو يضمن للكنيسة حسن سيرها في كل العصور حتى تبلغ مجدها الابدي العظيم.

اما من يتساءلون عن موعد نهاية التاريخ ومجيء ملكوت الله إلى الأرض حيث الحساب والعقاب، وهو ذات الوقت الذي سيعود فيه المسيح إلى الارض . ويشير انجيل متى إلى أن تلاميذ المسيح قد وجهوا اليه هذا السؤال وهو جالس على جبل الزيتون، اجابة عامة مبهمة عن بعض الظواهر والعلامات التي تسبق ذلك اليوم ثم قال لهم: **"واما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما احد ولا ملائكة السماء، الا ابي وحده".** ويعتقد المسيحيون انه اذا حان موعد ذلك اليوم، فان المسيح سيعود إلى الارض، ويقيم مملكته عند ذلك سيبعث الاموات من قبورهم ويتولى المسيح بمعاونة الملائكة محاسبتهم على اعمالهم السابقة فيجازي الابرار بدخول الجنة ويعاقب الاشرار بدخول النار .

وعلى الرغم من الاختلاف بين الفرق والمذاهب المسيحية المتعددة حول تفسير معتقدات الدين. الا أنها أجمعت على كون العهد الجديد، وقد ضم القصص الأربع الحياة السيد المسيح المعروفة بالأناجيل، وهي : (لوقا ومرقس ومتى ويوحنا) هذا إلى جانب اعمال الرسل والرسائل والرؤيا اللاهوتية. **أكدت المسيحية على تعاليم ومثل أخلاقية غاية فى المثالية أكثر مما هي تشريعية. وتحددت مواقفها في تقديم حركة التاريخ بخطوات ومراحل متعددة :**

1-تأكيدها على فكرة الخطيئة التي جاءت أثر سقطة أدم ثم استمرارها في التاريخ.

2-فكرة التجسد حيث ساد الاعتقاد في النظرة المسيحية التقليدية أنه بعد تلوث البشر بالخطيئة هذه غدا. من الضروري أن يجيء (الله سبحانه وتعالى) إلى التاريخ في صورة بشرية، وقد تجد ذلك ببعثة المسيح، والتجسد هنا يحصل مرة واحدة ولا يتكرر في التاريخ. وخلاله أقام المسيح الكنيسة، بجمعه لتلامذته الاثني عشر بتأثيره الشخصي، وأسلوب حياته وتعاليمه.

3-فكرة الصلب أو الفداء ، وقد مثل ذلك ب وفاة المسيح على الصليب ، رمزاً للتكفير عن أخطاء البشر ودليلا لخلاص البشرية من الآثام والخطيئة.

4-فكرة القيامة ، التي تمثلت (بقيامة المسيح) بعد الصلب ثم صعوده إلى السماء ليعطي البشر بذلك تأكيداً بالخلود . وقد أشارت الأناجيل إلى أن المسيح ظهر مراراً بعد قيامته وفي أماكن متعددة . في حين اختلفت الآراء بين المسيحين أنفسهم حول فكرة تجسد المسيح وألوهيته.

لقد أكدت المسيحية أن الله سبحانه وتعالى حاضر في التاريخ في صورة الروح القدس ومن هنا صورت المسيحية الله سبحانه وتعالى في صورة ثالوث (الأب والابن والروح القدس) . فقد أعتقد المسيحيون في الأب كونه خالق الدنيا وباريء البشر وقد طوع التاريخ بذاته السامية . أما « الأبن » فقد نظروا اليه على أنه المخلص، الذي قصد به أن يرد التاريخ إلى هدفه الذي أراده الله منه. في حين غدا الروح القدس بنظرهم بوصفه المزكي والمطهر للبشر خلال العملية التاريخية لقد بدا لبعض الباحثين أن اتجاهات هذه الديانة على الرغم مما انطوت عليها من الدعوة للزهد إلى حد ما. فأنها لم تكن في جوهرها فرار مطلقاً من التاريخ، ولا رفضاً للتاريخ المؤقت الزائل تفضيلا للخالد الأبدي . ومن هنا جاءت بتعاليم أكدت بها على الصدق والنزاهة والخير والجمال والتسامح والتوجه بالقلب لخدمة الآخرين والاتصال بالله (عز وجل) وفي تعاليم أخرى.

ثالثا: التاريخ في الدين الاسلامي:

أن الاسلام دين تاريخي يحمل في ذاته فكرة تاريخية عميقة مؤكدا وحدة الرسالات السماوية من حيث الدعوة إلى توحيد الله تعالى واسلام الأمر له، واختلاف الاسلام عن بقية الديانات ان كتاب أهله مدون ومحفوظ، ولم تدخل بين كلماته وسوره تحريفات وأحاديث كما حصل مع اليهودية والمسيحية، وكان ذلك الحدث نابعا من حرص صحابة الرسول ومن عاصر عهد الرسالة بأن يحفظ القران من التحريف، فدون من دون القرآن، وأهم من كتبه الامام علي (ع)، ومن ثم نقطت سوره لتأكيد الحفظ وسهولة القراءة، وبذلك صدق الله قوله : **(إنَّه لقرآن كريم .في كتاب مكنون .لا يمَسُّه إلا المطهَّرون)** (سورة الواقعة: الاية:77- 79).

يحفل القران الكريم بكثير من الحكم والتعاليم الدينية والقصص والعبر، بدءا من فكرة أن الله تعالى لم يخلق البشر عبثا وان البداية بدات بخلق آدم وستنتهي في يوم القيامة حيث سيحاسب الانسان على اعماله التي قدمها في الحياة الدنيا فيكافأ الصالحون ويعاقب الكافرون ، وهكذا فقد منح الاسلام العرب والمسلمين نظرة رحبة إلى الزمن تمتد من زمن الخلق الأول وتنتهي عند نهاية الحياة الدنيا، لتبدأ بعدها الحياة الاخرى حيث الحساب النهائي والعدالة الالهية، لقد أناط الله تعالى بالانسان مسؤولية رفيعة بعد خلقه إذ جعله خليفته في أرضه كما جاء في القرآن الكريم **(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ)**(سورة البقرة: الاية30)، ومن ثم أمر الملائكة بالسجود له من أجل تأكيد مكانته واشعار الملائكة بأن منزلته تسمو على منزلتهم، ومن اجل أن يكون الانسان جديراً بهذه المكانة الرفيعة التي منحه الله إياها فقال تعالى: **(لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)** (سورة التين: الآية: 4)، كما طلب منه أن يلتزم بأوامر الله تعالى كي يكون جديرا بوظيفة الاستخلاف على الارض فقال تعالى : **(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَات لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) (سورة النور: الآية:55)**، وقد أشار القرآن الكريم إلى استخلاف آدم اللي في الأرض بعد توبته من المعصية التي ارتكبها في الجنة ، فعهد اليه تعالى بمسؤولية العمل والكدح من اجل تأمين عيشه واعمار الأرض التي سخرها الله تعالى لــه ولمنفعته (٣) . قال تعالى : **(وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلا مَا تَشْكُرُونَ)** (سورة البقرة: الآية:36-37) . وهكذا فان استخلاف الله تعالى للانسان في الارض هو ثمرة العناية الالهية واللطف الالهي بالانسان، وليس عقوبة ربانية اوقعها الله به بسبب معصيته لاوامر الرب كما هو الأمر في اليهودية والمسيحية.

وفضلا عما تقدم ، فان الاسلام لا يعرف فكرة انتقال الخطيئة من الآباء إلى الابناء، لان كل انسان مسؤول عن نتائج افعاله . قال تعالى: **(نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ)** (سورة المدثر: الآية:38)، وفي ضوء ما تقدم فقد توصل بعض الباحثين إلى أن استخلاف الله للانسان في الارض ينطوي على معنى أن الله تعالى أناط بالانسان مسؤوليته عن تغيير نفسه ، وانه أودع في الناس القابلية لذلك ، وحملهم مسؤولية ما قد يكونون فيه او يصيرون اليه . والسبب أنه سبحانه وتعالى منح الانسان العقل أداة التفكير والتقدير. أن منح الله للانسان ميزة العقل جعل وضعه الذي هو يكون في مركز الكون لكي يكون سيده والمتصرف به.

إن من يقرأ القرآن الكريم يجده حافلا بقصص واشارات عن الاقوام الماضية مثل قوم نوح وابراهيم وموسى وعيسى ويونس وعاد وثمود و مدين وسبأ وذي القرنين. ولم يكن هدف القرآن الكريم مـن عــرض هذه القصص هو خدمة المعرفة التاريخية بذاتها وانما كان هدفه حمل البشر على التأمل والتفكير في احوال الامم السابقة وبخاصة ما يتصل منها بموقفهم من الانبياء والرسل من اجل استخلاص الدروس والعبر لكي لا يقعوا في الاخطاء ذاتها التي وقعوا فيها من الاعراض عن طريق تكذيب الرسل ورفض الدعوة الى التوحيد.

هنا من المهم الاشارة إلى ان حديث القرآن الكريم عن الأقوام الاخرى قد حفز الوعي التاريخي في عقول المسلمين، وجعلهم يسعون إلى التعرف إلى المزيد من اخبار هذه الأقوام عن طريق سؤال اهل الكتاب من اليهود والنصارى وغيرهم، وساعد ذلك السؤال على توسيع آفاق التفكير التاريخي عند المسلمين.

أكد القرآن الكريم في العديد من آياته على وجود سنن إلهية ثابتة تحكم حركة التاريخ وتربط المقدمات بنتائجها. وقد عرض القرآن عدداً من الامثلة في سوره، الفكرة العامة التي يمكن تلخيصها بأن سنة الله هي القانون العام الذي يحكم افعال البشر وسلوكهم، وهي تتسم بالثبات والاطراد والعموم، وهذا هو شان القاعدة القانونية. ويذهب اصحاب هذا الرأي إلى أن سنة الله تشمل جميع نواحي الحياة الانسانية والكونية، ومما لا شك فيه أن الآيات القرانية التي تحدثت عن سنة الله تعالى قد كان لها أثرها في توجيه افكار المسلمين ونفوسهم إلى المواضيع ساهمت في تعميق الوعي التاريخي في عقولهم وحملهم على دراسة الماضي ومحاولات استخلاص الدروس والعبر التي تفيدهم في حاضرهم ومستقبلهم ، وقد تجلى ذلك بصورة واضحة في حركة التدوين التاريخي عنـد المسلمين.

حركة التدوين التاريخي عند المسلمين:

أن تقدم الوعي التاريخي عند العرب المسلمين بسبب المنظور التاريخي الذي جاء به الاسلام ومقتضيات حسن الادارة والتنظيم التي فرضها نمو الدولة العربية الاسلامية وتطورها جعلهم يشعرون بالحاجة الى وضع تقويم ثابت يعتمدون عليه في تدوين الحوادث والاخبار او تحديد الكتب والمراسلات . فقد روى الطبري خبراً يشير إلى أن أبا موسى الاشعري، مسؤول البصرة انذاك، كتب إلى عمر بن الخطاب: **أنه تأتينا منك كتب ليس لها تاريخ. قال : فجمع عمر الناس للمشورة ، فقال بعضهم : أرخ لمبعث رسول. وقال بعضهم: لمهاجر رسول الله، فقال عمر : لابل نورخ لمهاجر رسول الله، فان مهاجرة فرق بين الحق والباطل**. وعليه عدت هجرة الرسول إلى المدينة بداية التاريخ الاسلامي الذي يميز هذا التاريخ من التواريخ الاخرى، وتتكوّن السنة الهجرية من 12 شهراً، كما قال الله تعالى في كتابه الحكيم: **(إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)** (سورة التوبة: الآية: 36).

ثم قسمت **الاشهر الهجرية** إلى قسمين كالتالي:

- الأشهر الحُرُم: وعددها أربعة، وهم: ذو القعدة، وذو الحجة، ومحرم، ورجب. وسميت بالأشهر الحرم لأن القتال كان محرماً فيها عند العرب في الجاهلية، وبقي الحال على ما هو عليه حتى بعد ظهور الإسلام، وذلك لقوله تعالى: **(فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)(سورة التوبة: الآية: 5).**

- الأشهر الحِلُ: وهي بقية الأشهر الهجرية الاثني عشر، ويبلغ عددها ثمانية، وهي كالتالي: صفر، وربيع الأول، وربيع الآخر، وجمادى الأولى، وجمادى الآخرة، وشعبان، ورمضان، وشوال. وسميت بالأشهر الحِلُ لأن القتال فيها كان حلالاً عند العرب في الإسلام والجاهلية.

اعطى التقويم الهجري التدوين التاريخي عنصرين مهمين من عناصر هما:

1-**الثبات** أي الارتباط بالزمن والخلاص من القصص المرسل وانقياد الاحداث لقيد التسلسل الزمني.
2-**النجاة** من الاختلاط الحادثي، أي منع الاحداث من أن تختلط بعضها ببعض بين عصر وعصر ومكان وآخر وشخص وثان.

وعليه يمكن القول ان نشأة التاريخ الاسلامي كانت مستقلة، ونما وتطور في ذات الاجواء والبيئة التي تطورت فيها الحضارة الاسلامية بصفته احد فروعها فهو ابن تلك الحركة الثقافية الواسعة التي امتدت حتى اليوم، لذا فمن المهم عرض مركز لهذا الترابط بين اهم انماط التدوين التاريخي والقيم الثقافية الاسلامية التي حاول المؤرخون من خلالها تفسير التاريخ تفسيراً مباشراً أو غير مباشر :

1-**تدوين السير والتراجم وعلاقته بتفسير التاريخ عند المسلمين**:

انطلق هذا النمط من التدوين التاريخي من اهتمام المسلمين بعد عصر الرسالة مباشرة بأخبار النبي محمد، علاقة هذه الاخبار الوثيقة بتفاصيل الاحداث التي ساهمت في تكوين تاريخهم كأمة، وقد شهد القرنان الاول والثاني للهجرة حركة نشطة جداً في جمع احاديث الرسول، وتفاصيل احداث حياته (سيرته) منذ ولادته وحتى وفاته، بل أن الاهتمام بسيرة الرسول قد أدى الى الاهتمام بنسبة وحياة آبائه واجداده وقومه، وصلتهم بالأقوام الاخرى لاتصال انساب العرب الشماليين باسماعيل وأبيه ابراهيم الخليل(ابو الانبياء)، وقد ساهم في نشأة الكتابة وتطورها في السيرة النبوية التي بكتب السير والمغازي عدد من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين حتى أخذت صورتها المتكاملة على يد محمد بن اسحاق (٨٥ - ١٥١هـ) الذي ألف كتابا اسماه بكتاب (السير والمغازي) .

وقد تناول ابن اسحاق في كتابه هذا ثلاث موضوعات اعتبرها مترابطة : اخبار الخليقة من آدم وحتى اسماعيل ، ثم من اسماعيل وحتى النبي محمد ﷺ ، ثم حياة النبي محمد واعماله قبل البعثة وبعدها، واعتمد في القسم الأول على مادة الاسرائيليات التي تجمعت عند العرب قبله ، والتي اكملها هو في خاصة أثناء تحصيله في مصر . واعتمد في القسم الثاني على مادة عربية شبه اسطورية تتحدث عن اخبار العرب قبل الاسلام وانسابهم ، وقد صيغت اخبار هذين القسمين بشكل ألف جيد الاداء والعرض أوصل إلى الغرض .

2-**كتب التاريخ العام وتفسير التاريخ عند المسلمين** : كان ظهور كتب التاريخ العام في القرن الثاني من الهجرة نتيجة طبيعة لتطور الفكر التاريخي عند المسلمين . وقد استفاد مؤرخو التاريخ العام من مواد السيرة النبوية والاخبار والانساب والشعر والادب واخبار الامم الأخرى في تكوين المادة العلمية لكتبهم وقد أشير إلى أن التأليف في التاريخ العام يتطلب من المؤلف أن يتحلى بوعي وبصيرة في تقدير قيمة الحوادث والاخبار بالنسبة الى سياق العام لمجرى الحوادث. وكان من اهم المؤرخين: خليفة بن خياط، ابن قتيبة الدينوري، البلاذري، اليعقوبي، الطبري، المسعودي، حمزة الاصفهاني، المطهر بن طاهر المقدسي وبن مسكويه.

وانقسم موقف المؤرخين المسلمين الذين كتبوا في التاريخ العام وغيره من انماط التدوين التاريخي وهم يبحثون عن الحقيقة في التاريخ وتفسير احداثه إلى فئتين رئيسيتين:

1-**اصحاب التاريخ بالرواية :** وهم يرون أن الوصول إلى الحقيقة التاريخية يتم عن طريق العناية بصحة الرواية ودقتها. وكان ابرز ممثل لهذا الاتجاه هو (الطبري) الذي يعد امتداداً لمدرسة الحديث في مجال التاريخ .

2-اصحاب التاريخ بالدراية : أن تطور الوعي التاريخي عند المسلمين قد جعل المؤرخين بعد عهد الطبري لا يكتفون بالاعتماد على الروايات والاخبار وانما يسعون الى الرجوع إلى المصادر الأولى للمعلومات مع ميل إلى استخدام العقل في نقد الاخبار وتفسيرها في ضوء عوامل البيئة الجغرافية والاجتماعية . ومنهم: المسعودي، الطهر المقدسي، ابن مسكويه وغيرهم.

اتضح لنا ان المؤرخين المسلمين خطو بعلم التاريخ خطوات واسعة إلى الامام، إذ افلحوا في نقل الوعي التاريخي عند العرب من مستوى الرواية الشفهية للاخبار إلى مستوى التدوين والتأليف على وفق قواعد منهجية محددة، كما ساهموا في وضع أسس النقد الموضوعى للروايات التاريخية من اجل الوصول إلى الحقيقة، وتمييز الاخبار وكشف عوامل الكذب والوضع فيها ولم يخل عمل المؤرخين وهم يجمعون الاخبار ويدونونها من التساؤل عن (السنة) والسبب الذي يقف وراء الاحداث ويوجه مسار التاريخ، الأمر الذي مهد الطريق لظهور التفسير الاجتماعي والحضاري للتاريخ وقد بلغ ذورته على يد ابن خلدون، وسنتطرق له في المحاضرات القادمة.

مميزات التفسير الاسلامي للتاريخ :

1- **المرونة وعدم التأزم المذهبي**: يتميز الموقف الإسلامي من التاريخ بمرونته وبعده عن التوتر أو التأزم المذهبي الذي يسعى إلى قولبة الوقائع التاريخية، وصبّها في هيكله المسبق، واستبعاد أو تزييف كل ما لا ينسجم وهذا الهيكل، الأمر الذي يوقع التفاسير الوضعية في كثير من الأخطاء والانحرافات هذا إلى جانب أن الفكر الوضعي لا بد وأن يتأثر بطبيعة العصر الذي يعيشه سلبًا وإيجابًا، وبدرجة أو أخرى وهذا التأثير المحتوم ينعكس ولا ريب- على معطياته الفكرية، سواء كانت (صيغة) هذا التأثر بشكل (تقبل) لقيم العصر وأوضاعه ومناهجه ورؤاه ، أو (رفض) لها وتمرّد عليها. ففي كلتا الحالتين يلعب الجانب التأثري الانفعالي، والإسقاطات الظاهرة والخفية في الوعي" و"اللا وعي"، دوره في الرؤية التي يمارسها المفكر تجاه الأوضاع والأحداث والأشياء.
2- **الواقعية** إن رؤية التفسير الإسلامي للأحداث رؤية واقعية شاملة في امتداداتها الزمنية الماضية والحاضرة والمستقبلية. فيما كانت عليه، وما هي عليه، وما سوف تكون عليه. إنه - مثلاً- يعترف بالتمايز القومي، ويعطي لهذا العامل الواقعي حجمه الحقيقي، على الرغم من نزعة الإسلام العالمية، واستعلائه على الكيانات المحدودة المنغلقة على الإقليم أو اللون أو الجنس. ويؤكد على ضعف الإنسان وتقلبه وعجلته، على الرغم من أنه جاء بمبدأ الاستخلاف الذي رفع به الإنسان إلى أعلى مصاف، وأمر الملائكة بالسجود له.
3- **الشمولية** ينفتح التفسير الإسلامي للتاريخ على كافة القوى (الفاعلة في الحركة التاريخية المنظورة وغير المنظورة، العقلية والوجدانية، المادية والروحية، الطبيعية والغيبية). ويرفض تجزؤ الرؤية وعزل الأرض عن موقعها الصحيح في الكون، وارتباطاتها الشاملة بما حولها.

المصادر المعتمدة في اعداد المحاضرة:

1-هاشم يحيى الملاح، المفصل في فلسفة التاريخ.

2-سالم محل، المنظور الحضاري في التدوين التاريخي عند العرب.

3-ويد جيري، المذاهب الكبرى في التاريخ.